



ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: <https://eduj.uowasit.edu.iq>Naji Abdul Zahra
MahdiUniversity of Wasit -
College of Education
for Humanities

Email:

naji10@uowasit.edu.iq**Keywords:**Consistency 'text '
sermon 'Imam Ali '
Imam Hassan**Article info****Article history:**

Received 20.Nov.2025

Accepted 16.Dec.2025

Published 25.Febr.2026



Textual consistency in Imam Ali's will to his son Imam Hassan peace be upon them Reference as an example .

A B S T R A C T

Text linguistics provides a new reading with broad dimensions of human intellectual production. A holistic perspective is closer to human nature and more readily accepted than a limited or fragmented view. The expansion of meaning from restricted sentences to a broader textual structure has offered a new interpretation and a deeper understanding of linguistic thought. Cohesion is considered one of the fundamental standards of textuality, as it possesses various linguistic devices through which a text becomes coherent, harmonious, well-organized, and establishing strong relational connections among its components. This study examines one of the most powerful cohesive devices, namely reference, through which textual cohesion is revealed in the Testament of Imam Amir al-Mu'minin (peace be upon him). The analysis focuses on the use of referential tools represented by pronouns, relative pronouns, and demonstratives. Among these devices, the pronoun plays a particularly significant role in achieving textual cohesion and performing a functional linking role. Pronouns are regarded as one of the strongest elements of reference due to their extensive capacity for linguistic usage and their functional role in textual linkage. In the enduring testament, the pronoun serves as a central cohesive element that strengthens the text. The linguistic usage within the examined text clearly highlights pronominal reference, revealing the degree of interconnectedness among its parts, contributing to the formation of textuality, and presenting meaning in the simplest and most comprehensible manner.

© 2026 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol62.Iss2.4866>

الاتساق النصي في وصية الإمام علي لابنه الإمام الحسن (عليهما السلام)
قراءة في مدارج الإحالة النصية مثلاً

م.م. ناجي عبد الزهرة مهدي

جامعة واسط - كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

تنتج لسانيات النص قراءة جديدة ذات ابعاد واسعة للمنتج البشري، فالنظرة الشمولية قريبة من طبيعة الإنسان بقولها، خلافا للنظرة المحدودة، فالنوع بالمعنى من جمل مقيدة إلى نص واسع اعطت قراءة جديدة وفهماً عميقاً للفكر اللغوي، والاتساق أحد معايير النص إذ يملك أدوات عن طريقها يكون النص متسقاً ومنسجماً ومنظماً، ذات علائقية قوية بين أجزاء .

تتاول البحث أقوى أدوات الاتساق وهي (الإحالة) التي بها يتم الكشف عن الاتساق النصي في وصية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) باستعمال أدوات الإحالة المتمثلة بالضمير والاسم الموصول واسم الإشارة ، وكان للضمير أثر كبير في الاتساق النصي والعمل الوظيفي الرابط، إذ يُعدّ الضمير من أقوى عناصر الإحالة؛ لما يحمل من قدرة كبيرة في الاستعمال اللغوي والعمل الوظيفي في الربط النصي، فهو الرابط في الوصية الخالدة وله الفضل في تقوية النص، فالاستعمال اللغوي بالنص المبحوث تبرز به الإحالة الضميرية بشكل واضح كاشفة عن مدى الترابط بين أجزاء النص وتكوين النصية وإظهار المعنى بأبسط صورة للفهم.

الكلمات المفتاحية: الاتساق ، النص ، خطبة ، الامام علي ، الامام الحسن.

المقدمة:

انفردت اللغة العربية عن بقية لغات العالم بجوهرها ومعناها الفريد إذ تحيط بهذا الوجود الرحب، معبرة عما فيه بكل ليونة، تحتضن الموجودات بكل حنان، فهي الأم الناطق عنهم، المهيمنة على غيرها والمدافعة عن وجودها، فهي تنمو وتظهر كلما استعملت، فاللغة صاحبة السلطة العليا حين تملكها ملكت السلطة.

و القراءات لا تتقضي مادام الفكر موجودا ، فقد احتلت الدراسات الحديثة/ لسانيات النص مجالاً واسعاً في قراءتها للتراث العربي ، فالانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص (علم النص) لم يكن حالة من النزعة أو الترف الفكري، فالجملة لا يهملها النص، فهو يقوم بتشكيل وجوده منها أو من أقلّ منها ، فالتحول من الجملة إلى النص له حاجة فعلية، إذ إنّه يعطي نطاقاً واسعاً من الرؤيا بحسب نظم والآليات التي رسمها أصحاب لسانيات النص، فإن محاولة وصف الكلام من خلال الجمل، هو إجراء غير مضمون النتائج ، وعليه فلا بدّ من أن يكون موضوع الدراسة والوصف وحدة لغوية أشمل وأكبر يمثلها النص (ينظر: يقطين ، ٢٠٠١ ، ١٦) يتصف بالشمولية للقراءة الواعية ، فالنص ليس مجموعة من الجملة المتتالية أو العشوائية المتراكمة، وإنما هو نظام متكامل فيه سمة التواصل، يتصف بمجموعة من الضوابط والمعايير التي تميّزه بأن يكون نصاً عن اللانص، وهذه المعايير منها ما يتعلق بالنص نفسه، أو ما يتعلّق بمستعمله، أو بالسباق المحيط بالنص يقول سعد مصلوح : " مايتعلق بالنص في ذاته السبك والحبك ..وما يتعلق بمستعملي النص... وما يتصل بالسباق .."(مصلوح: ٢٠٠٣، ٢٢٦) .

فالنظرة الشمولية التي يتمتع بها النص جعلته يعطي قراءة جديدة وبنية عميقة لمضمون المنتج المراد فهمه؛ لكي يتم الوصول إلى مراد المتكلم، فتكون عملية تفاعلية بين الكاتب أو المنتج والمتلقي، والمعنى الذي يكون النص هو المرصود الأساس في عملية نصية النص إذ: "البحث النصي يتجاوز إطار الشكل من دون إهماله، غير أنه ينطلق أساساً من المضمون، مضمون النص ككل بوصفه وحدة كبرى متماسكة الأجزاء ويتجاوز إطار القواعد الخاصة التي تنطلق من أبنية متفرقة دون إهمالها ويركز الوصول إلى القواعد العامة التي تصلح كأسس مشتركة ليس في لغة بعينها (بحيري، ٢٠١٠، ٧٩)".

فالتجاوز للشكل هو علامة فارقة عن بقية الدراسات ذلك الإطار الشكلي إنما تكون الدراسة من أجل ذاته لا تختص كما في البنيوية و التوليدية التحليلية، فدراسة النص مرحلة متطورة من الدراسة تراعي الظروف النفسية والاجتماعية بنظرة داخلية وخارجية .

وهنا يأتي السؤال ما مهمة دراسة علم النص أو نحو النص؟ يمكن أن يكون الجواب بما يلي إذ تقوم بالكشف عن العلاقات الموجود في النص الداخلية والخارجية منها، زد على ذلك تعمل على تبين الأشكال التحليلية للخطاب، وكيف كان استعمالها للغة. فالدراسات النصية قد هجرت المنهج السائد سابقاً في دراسة اللغة المنحصر على مستوى الدلالة أو التركيب وغيرها، بل أخذت تنظر إليه بنظرة شمولية تعالج فيها الجملة والدلالة والتداول لأجل الوصل إلى الوصف إلى البنية الكلية السائدة في النص بتحليل واضح ودقيق بعيداً عن الخلل في التواصل (ينظر: بحيري، ٢٠١٠، ١٤٣، ١٥٢) . فما توصلت إليه هذه الدراسات استطاع علم النص أن يقدم خدمة جليلاً عجز عنها المنهج البنيوي وغيرها فهو: "الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية البنيوية والدلالية والتداولية" (الإبراهيمي، دت) ١٩٧. فالخطاب الموجه هو رسالة إلى المتلقي يتوقف إيصالها على فهم المتلقي بما فيها من دلالة وما تحمل من مستويات لغوية بفضلها يمكن معرفة المراد والمقصد المتوجه، وهذا العبا قام بها نحو النص /علم النص، يقول أحمد عفيفي: "إن أهم ملامح نحو النص دراسة الروابط مع التأكيد على المزج بين المستويات اللغوية المختلفة، وكبل هذا يؤدي إلى الاتساق" (عفيفي : ٢٠٠١، ٩٥) .

فتتضح العلة العلمية من دراسات علم النص للتراث اللغوي، فهو يعطي تصوراً واسعاً لفهم المعنى عن طريق الإحاطة بالنص المراد فهمه.

وبين يدينا نصٌ عظيم الشأن رفيع المكانة غزير المعنى قرين القرآن، بل ترجمانه وسرّ بيانه (نهج البلاغة)، بحث فيه الكثير ولم يصلوا إلى حقيقته، فهو بحر لا نهاية لأطرافه يسبح فيه الفكر، ويتوسع به المعنى، ونحن بهذه الوريقات، نتناول جانباً من جوانب خطبته (عليه السلام) لابنه الإمام الحسن سيّد شباب أهل الجنة (عليه السلام) فصاحب الخطاب والملتقي جوهر نفيس من صنع الله تعالى، وإن كانت الوصية من أبٍ يعمل بتكليفه لولده ويهتم به بأعلى مستويات النصح والإرشاد؛ إلا أنه خطاب إتيك أعني واسمعي يا جاره، فقد وقع البحث على هذه الخطبة ناظرين إلى معيار الاتساق كما يعبر عنه النصيون .

فالانساق لغة من: "وسق: الواو والسين والفاء: كلمة تدل على حذل الشيء. ووسقت العين الماء: حملته. قال الله سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ الانشقاق: ١٧ (ابن فارس: دت) ٦/ ١٠٩. وقال الراغب: "الوسق: جمع المنفرد" (الراغب: ٢٠٠٤، ٨٧١). وهو: "كل ما انضم، فقد انسق. والطريق يانسق؛ ويتسق أي ينضم؛ حكاه الكسائي. وانسق القمر: استوى. وفي التنزيل ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّقِيقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾... واتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه" (ابن منظور: دت) ١٠ / ٧٩). فكل ما جمع وتكون بصورة جديدة بعد أن كان متفرق، فأصبح متماسكاً منظماً بعضه إلى بعض، مكوناً هياً وتركيباً لم تكن موجودة قبل ذلك الانضمام.

والانساق اصطلاحاً: يُراد به " ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ أو خطابٍ ما، ويهتمّ فيه بالوسائل اللغوية (الشكليّة) التي تصل بين العناصر المكوّنة بجزء من خطاب أو خطاب برمته " (الخطابي: ٢٠٠٦، ٥). فهو الربط الرصفي الذي يتمسك بأدواته الفعّالة في إيجاد النصّ وضمّه وسبكه لدى المتلقّي، يقول محمد الشاوش في بيان معنى الأنساق: " يكون الأنساق متى اعتمد تأويل جزء من أجزاء النصّ على تأويل آخر منه، فلا يتسنى الأوّل إلاّ بالثاني" ... أنّ الظواهر التي تعمل داخل الجملة الواحدة: من حذف وإضمار وتعريف وإشارة واستبدال معجمي " (الشاوي: ٢٠٠١، ١ / ١٤٢). فالانساق يبني على العلاقات الظاهرية الشكلية ، أمّا غيرها فلا مدخلة لها في تشكيله من مقامية أو تداول (ينظر: بوقرة: ٢٠١٢، ٨١).

الترابط في اللغة سمة كاشفة عن صحة النظم عن غيره، بما يحوي من أدوات تجعل الكلام متماسك مترابط وهو " أقرب إلى ظاهرة النصّ، ويرتبط بالدلالة النحويّ التي تعنى بكيفية انتفاع المتلقّي بالأنماط والتتابعات الشكلية في استعمال المعرفة ونقلها وتذكرهما" (عفيفي: ٢٠٠١، ١٠٣). والربط تعبيرٌ آخر عن الانساق وكذلك السبك وغيرها من الألفاظ التي يستعملها النّصّيون، فهذا المصطلح اللساني الغربيّ الحديث لم يكن غائباً عن الفكر اللغوي العربي، وإن اختلفت فيه الألفاظ ولكن الإجراءات هي مقاربة عمّا كانت عليه في التراث العربي، قال الجرجاني(٤٧١هـ): "واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمتَ علماً لا يعترضه الشكُّ، أنّ لا نَظْمَ في الكَلِمِ ولا ترتيب، حتى يُعلّقَ بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقلٌ ولا يخفى على أحدٍ من الناس." (الجرجاني: ١٩٩٢، ٥٥،)، فحالة الترابط والتعليق الموجودة في الفكر العربيّ قانونٌ حاكم على النصّ العربي في قابليته عن التعبير الصحيح عن غير الصحيح .

وللانساق أدواته منها نحوية وأخرى معجمية :

فالانساق النحويّ يكون من: الإحالة ، والحذف، والوصل، والاستبدال. ومرادنا في هذه البحث هو عنصر الإحالة .

الإحالة :

يعمل النّظام العلائقيّ في الجمل أو النصوص حالة من الربط والمواصلة لسلسلة الأفكار، ومتابعة المتواليات من المعاني التي تحملها المفردات داخل الجمل وكذلك الجمل داخل النصوص، فهذا النسيج الملتحم المتماسك يكون ببعض الأدوات منها الإحالة بما تحمل من منجزٍ فعليّ ترابطيّ في النصّ " فاللغة نفسها نظامٌ إحاليّ إذ يحيل إلى ما هو غير اللغة " (الزناد: (دت) ، ١١٥).

فالإحالة هي من العناصر اللغوية التي لا تتقوم بنفسها وذاتها بل تعتمد على غيرها في تفسيرها وتأويلها " وإنّها عملية ذات طبيعة تداولية، تقوم بين المتكلم، والمخاطب في موقف تواصلية معين، ويحيل فيه المتكلم المخاطب إلى ذات معينة " (بحيري: ٢٠٠٥، ٨٩). وهي تقتفر إلى استقلالية بالنفس إذا لا يمكن وجودها منفردة، فهي تحيا وتبصر النور داخل النصّ ف: " الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر، أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب " (فرج:، ٢٠٠٩، ٨٣).

فهذا العنصر الدلالي يساهم بشكل واضح لبناء المعنى بطريقة التعويض والاختصار، بعيداً عن الملل والتكرار، ينساب معه الذهن، فجران الكلام واتساقه بمستوى واحد وربط البعيد واحضاره بما بعده أو بما قبله يدل على مرونة ومطاوعة اللغة والقابلية لدى العنصر الإحاليّ .

لا بد للإحالة من وجود عنصر مبيّن وكاشف لما موجود في النصّ ، ومن عملها ووظيفتها هي التعويض و تجنّب التكرار، عن طريق الجزء الصغير المقتصد والمعوض، زد على ذلك فهي تقدّم المعلومات المساهمة في بناء الفكرة الموجودة في النصّ التي أرادها الكاتب ، فدورها كبير في ربط النصّ الداخلي في الإحالة النصية ، خلافاً للإحالة الخارجية

فإنّها تفتقر في عملها عن الإحالة النصّية فهي حلقة ربط بين السياق والموقف (ينظر: شبل، ٢٠٠٧، ١٢٠/١٢١). وهي تسهم في خلق اتساق الخطاب من بدايته إلى نهايته بربط ذهني على شكل كتلة نصّية واحدة أو خطاب خارجي (ينظر: المتوكل: ١٤٥، ٢٠٠١).

والإحالة تقسم إلى قسمين: "الإحالة المقامية والإحالة النصّية. وتتفرع الثانية إلى: إحالة قبلية وإحالة بعدية، والإحالة المقامية تساهم في خلق النصّ؛ لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلّا أنّها لا تساهم ... في اتساقه بشكل مباشر. بينما تقوم الإحالة النصّية بدور فعال في اتساق النصّ" (الخطابي: ٢٠٠٦، ١٨).

ومن هذه الاحالات تقوم في بناء النص ف: "الإحالة المقامية - خارج النص، لا دور لها في بناء اتساق النص، بخلاف الإحالة المقالية فإنّها هي التي تحقق ارتباطه واتساقه" (الشاوي: ٢٠٠١، ١/١٢٥).

وللإحالة أدوات يمكن معرفتها من خلالها: الضمائر واسم الإشارة والاسم الموصول وأسماء المقارنة، وأنّه يمكن النظر إليها من حيث البعد والتوسط والقرب.

أولاً: الإحالة النصّية داخل النصّ:

المضمّر: يحتلّ المضمير موقعا متميزا في مسار اللغة العربية قديماً وحديثاً، ولم يغفل عن منزلته علماء اللغة القدماء، وتناوله بنوع من التأمل ولا سيّما في قضية مرجعية المضمير وما مدى تفسيره مع اختلاف الدلالة بحسب العائد عليه (ينظر: الفقي: ٢٠٠١، ١/١٤١). وفي بيان المضمير ذكر ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) إنّ: "المضمّر: وهو ما عُلق في أوّل أحواله على شيء بعينه في حال غيبة خاصّة كـ "هو"، أو خطاب خاصّة كـ "أنت"، أو متكلّم خاصّة كـ "أنا" (ابن عصفور: ١٩٩٨، ٢٩٨).

ومما ينفرد به المضمير أنّه عدم تقيّد عمله بمشخص واحد، فهو يكون للحاضر والمخاطب والغائب، فهذه المساحة الدلالية الواسعة في الاستعمال اللغوي قلّما تجدها في المفاهيم اللغوية، تحمل في طبيعتها مرجعيات مختلفة مفسّرة لها، وذكر المسوغ والحركة الدينامية التوسعية للمضمير ذات المرونة في الاستعمال اللغوي إذ: "أدخل الاسم المضمّر في الكلام خوفاً من اللبس، واحتراساً منه، ومن النحويين من يسميه المكنّي؛ وذلك أنّ الأسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك والالتباس، وليس لها أحوال تقترب بها تدل على المختص منها إذا التبست، وإنّما يدل على اختصاص المختص منها في كثير من أحواله الصفات ... والمضمّرات تستغنى عن ذلك بالأحوال المقترنة بها، المغنية عن صفاتها، وهي ثلاثة أقسام: المتكلم والمخاطب، والغائب، والأحوال المقترنة بها: حضور المتكلم والمخاطب، والمشاهدة لهما، وتقدّم ذكر الغائب الذي يصيّر بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم." (السيرافي: ٢٠٠٨، ٣/١٠٢).

ودوره التواصلي في الربط بين أجزاء الجملة، فنظام الربط الموجود في الجملة المتمثل من أحد جوانبه اللفظية المضمير من أجل الاختصار وأمن اللبس، لنسق بين الطرفين (ينظر: حميدة: ١٩٩٧، ١٥٢)، فاللغة كائن منظّم يحبّ التنسيق بين أجزائه بعيداً عن التكرار، فالمضمير يمثل مبدأ الاقتصاد اللغوي يُعمل به لعدم التكرار وكذلك للابتعاد عن الملل، رغم تلك الخصائص المميّزة لهذا العنصر الربطي لا تخلو الضمائر من الغموض والإبهام، فهي فقيرة إلى من يرفع هذا الإبهام: "فلا بدّ لها من شيء يزيل إبهامها، ويفسّر غموضها. فأما ضمير المتكلم والمخاطب فيفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام؛ فهو حاضر يتكلّم بنفسه، أو حاضر يكلمه غيره مباشرة. وأما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف؛ لأنّه غير حاضر ولا مشاهد؛ فلا بدّ لهذا المضمير من شيء يفسره، ويوضح المراد منه. والأصل في هذا الشيء المفسّر الموضّح أن يكون ... متقدّم على المضمير ومذكوراً قبله ... فيكون خالياً من الإبهام والغموض" (حسن: ٢٠١٠، ١/٢١٥). وللضمير تقسيمات معروفة ذكرها النحويون، يتمتع بها المضمير ويملك مساحة واسعة من العمل والتفسير والاختزال.

يتضح أنّ بعض الدوافع في الاستعمال هذه الضمائر هي الخفة والابتعاد عن اللبس، وكذلك تختلف من حيث القوة والضعف في الاستعمال البدلي أي: أنّ عملية التعويض التي يحتلها الضمير تتفاوت، فالضمير المتصل أضعف من المنفصل والدليل على ذلك منعه من الانفصال في حالة الإمكان من الاتصال، ولكن الاستعمال اللغوي في حالة الاتصال يكون الضمير أخف وأيسر (ينظر: ابن جني: ٢٠١٥، ٢ / ٢٠٥، ٢٠٦).

أما لسانيو النصّ لم يختلفوا كثيرا عما ذهب إليه اللغويون في تفسير الضمير وقوته في الربط سواء داخل النصّ أم خارجه إذ يعطي تماسكاً نصياً في الشكل والدلالة والتفاعل في النصّ، وهو عنصر يجعل من النصّ نظاماً مرتبطاً متسقاً بين المحيل والمحيل إليه، ويتميز الكلام عن طريقه بالاختصار وعدم التكرار الممل. وعند قراءة الخطبة المباركة نجد الضمير يمثل نسيجاً مترتباً يقوم بشبكة علائقية لربط النصّ وجعله متسلسلاً يصور مفهوما ذات قيمة عالية من الوصية بذكر موارد لا يمكن ترك أحدها فلا يمكن الوصل لمراد المتكلم إلا بتصور هذا الربط العلائقي بين القواعد والأسس التربوية التي رسمها (عليه السلام) لأبنة الإمام الحسن (عليه السلام) إذ قال: " فَأَيُّ أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ . أَيُّ بُنْي . وَلُزُومِ أَمْرِهِ ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ ، وَالِاعْتِصَامِ بِحَيْلِهِ ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ! أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمُوعِظَةِ ، وَأَمْنَهُ بِالرَّهَادَةِ ، وَقُوَّةَ بِالْيَقِينِ ، وَنُورَهُ بِالْحِكْمَةِ ، وَدَلِيلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَقَرْرَهُ بِالْفَنَاءِ وَبَصْرَهُ فَجَائِعِ الدُّنْيَا ، وَحَدْرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَأَعْرَضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ ، وَذِكْرَهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَنَارِهِمْ ، فَانظُرْ مَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا ، وَأَيْنَ حَلُّوا وَتَزَلُّوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحْبَةِ ، وَحَلُّوا دَارَ الْغُرْبَةِ ، وَكَانَتْكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ" (ابن ابي الحديد: ٢٠٠٥، ٥٠/١٦) .

نلاحظ الإحالة بالضمير (الغائب) كيف كان لها الأثر الكبير في ربط النصّ .

إِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ . أَيُّ بُنْي . وَلُزُومِ أَمْرِهِ

إِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ

إِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالِاعْتِصَامِ بِحَيْلِهِ

فقد ذكر الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) ثلاث مفاهيم كأنها تمثل الإطار العام للوصول لله تعالى والالتزام بمراده تعالى ، وهي كلّها تمثل نصية النصّ للمفهوم التقوى وهي خلاصة ما جاء به الأنبياء والمعصومون (عليهم السلام) التي تمثل الخشية والخوف والخشية الباطنية للإنسان الذي يمنعه من ارتكاب المعاصي ، وتحمله المسؤولية أمام الله تعالى ، فلزوم أمر الله وهو وليد الوعيد للأوامر الإلهية ، ومن ثم لا يقف الإنسان على الالتزام فقط وإنما يراد منه عمارة القلب المقترن بذكره تعالى؛ لأنّ حالة الغفلة واردة على الإنسان وهي عنوان لخراب هذا القلب ، والاعتصام بحبله هو المنجي اتباع تعليم القرآن، هذا التوجه الأول إلى الله مباشرة بنظرة مخصصة أرادها الإمام (عليه السلام) (ينظر: الشيرازي : ٢٠١١، ٩ / ٤٢١، ٤٢٢).

لو نظرنا نظرة تأمل لهذا النصّ وما قامت به الإحالة(الهاء: المضمرة) من ربط واتساق وتفاعل جعلته ذا كتلة وبنية تشكّلية واحدة شكلاً ودلالةً وساهمت في تكوين نصية النصّ، فإنّ مفهوم التقوى هو نتيجة كلّما جاء بعده ففي تحقيق نصية التقوى يشترط توفر ما ذكر بعدها وكأنّها ذكر الخاص بعد العام، فالرابط بينهما هو الضمير فرجوع الضمير إلى الذات المقدسة مباشرة يضفي نسقا وهيكلية لغوية تتسم بالاتصال والتفاعل لهذه المفاهيم المراد النظر إليها والعمل بها، وجعله كحزب المسبحة منتظمة لا يمكن الإفراط بها، وهذا الميزة التي يتمتع بها النصّ هي ما قامت بها وظيفة الإحالة البعدية راسمة التقوى النواة الكبرى للنصّ تدور حولها مفاهيم والمصاحيق والالتزام بالأوامر وعمارة القلب والتمسك والاعتصام بحبل الله تعالى ، فالمشار إليه هو الله والمحال إليه هي توجهاته جلّ وعلى، فالرابط بين الأصل وما يترشح منه هو الضمير

المحيل .

وفي نفس المقطع من الخطبة نذكر الإحالة ثانية والمشار إليه هو (القلب)

أخي قلبك	بالموعظة
أخي قلبك	وأمنه بالرهادة
أخي قلبك	وقوه باليقين
أخي قلبك	ونوره بالحكمة
أخي قلبك	ودليله بذكر الموت
أخي قلبك	وقرره بالفناء
أخي قلبك	وبصره فجائع الدنيا
أخي قلبك	وحذره صولة الدهر
أخي قلبك	ودكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين

في هذه الفقرة من وصية الإمام عليه (عليه السلام) "محور هذا القسم من الموعظة قلب الإنسان وبين جملة من المسائل المتعلقة به ولعله هذا الأسلوب يرجع إلى أن طريق صلاح هذا الإنسان وإصلاحه يكمن في قلبه، بل أن حقيقة الإنسان هي قلبه" (اليزدي: ٢٠١٩، ٤١). قد كررنا العبارة (أخي قلبك) من أجل بيان ما للضمير من دور في ربط النص ومن أجل رسم الصورة الإحالة المنسجمة بين الفقرات.

نظرة أخرى إلى أثر الضمير ووظيفته في ربط اللغوي وهو مقتضي الربط الدلالي الموجود بين المحيل والمحيل إليه وجعله كلوحة واحدة ، وهذه المرجعيّات الضميريّة التي تعود إلى القلب الذي يمثل قطب الرحي، فكّلها من شؤونه التي يجب الإنتباه إليها والالتزام بها، فالقلب يمثل النواة النصيّة الكبرى التي تدور حولها بقيّة المواعظ والموجه لها عن طريق الإحالة الضميريّة خالقت الاتساق بين المواعظ والقلب ، فتكوّن النصيّة الداخلية والوظيفة الإحاليّة جعلت من وحدات هذا النصّ متماسكة ومتسقة، فهذا من شؤون الإحالات الداخلية فقد " ترأصف النصّ على نحو متواتق لاحقه يرتبط بسابقه، وسابقه المعجمي يفسر لاحقه الوظيفي وعلى خصوصيّة مشاركة في التطابق الإحالي ، والتماثل الدلالي". (الهاشمي: ٢٠٢٠، ٤٠). فكلّ الاحالات الراجعة إلى القلب لا يوجد لها مجالاً أو فضاءً تتوجّه عليه بواسطة الضمير إلا القلب ولولاه لما كان هناك ربطاً واتساقاً في هذه النصّ لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) . فالنتفاع الموجود بين الفقرات كلّها ترجع إلى الوظيفة العملية التي يقوم بها الضمير.

وقوله (عليه السلام) :

"وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتَهُ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلَ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوْلِيَةٍ، وَآخِرَ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَائِيَّةٍ، عَظَمَ عَنْ أَنْ تُثَبَّتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ" (ابن أبي الحديد: ٢٠٠٥، ٦٠).

رُسُلُهُ	أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ
وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ	أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ
وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتَهُ	أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ

في هذا النص نفي الشريك عنه بطريقة دقيقة ومختصرة ذات برهان قوي: "إذا كان لله شريك فلا بد أن يكون حكيماً ، والإله الحكيم يجب أن يعرف نفسه ويكشف عن تعاليمه وأحكامه بواسطة الأنبياء الذين يرسلهم للناس ... فلو كان هناك إله آخر فيلزم من ذلك أن تظهر آثار ملكه وسلطانه وقدرته على العالم" (الشيرازي: ٢٠١١، ٩ / ٤٨١، ٤٨٢).

فإن النص الكبرى هي نفي الشريك عن الله تعالى، هذا الربط بكل ما طرح كان عن طريق الإحالة الضميرية بالهاء القبلية التي نسجت نصاً متكاملاً مرتبطاً بين أجزائه، متطافراً الكنايات في تقوية نفي الشرك، حيث قامت الإحالة الضميرية بعمل واضح في بناء النسيج النصي التي ساهمت به، إذ تقوم بربط النص وخضوعه إلى الضوابط الدلالية في النص الواحد، فتشاهد تماسك واتساق الجمل ببعضها لعودة الضمير (ينظر: قياس، ٢٠٠٩، ٩٩).

بعد التأمل في المتتالية الضميرية التي جمعت الصفات وربطتها فيما ينبغي في أن يكون الإله فجعلت النص جسداً واحداً غير مجزئ، هذه القوة التي يمارسها الضمير تظهر سلوكية المتحرك وقيامه بنسيج منتظم من الكلام المشكل لترابط النص وتشكيل نصيته القائمة بوظيفتها الدلالية والتداولية .

وقوله: (عليه السلام):

"إِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصَّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبُذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ، وَعِنْدَ حُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ دُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَصْعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ، لَا تَتَخَذَنَّ عُدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِي صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَأَنَّ أُمَّ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْعَيْظَ، فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلْدَّ مَعْبَةً" (ابن أبي الحديد: ٢٠٠٥، ١٦ / ٨١).

يراد من صرمة في حالة قطيعته إليك، وجموده هو بخله فيما لديه (ينظر: عبده: ٢٠٠٦، ٣٩١).

هذه مجموعة من القوانين العلوية لبناء العلاقات الاجتماعية بصورة قوية، ترسم وتهندس بناء المجتمع غير متفكك، فهو (عليه السلام) يذكر آفات العلاقات الاجتماعية الخاصة، وخاصة مع الصديق ويضع معها علاجاتها: " فإذا كنتم بصدد ترسيخ العلاقة وتحكيمها وحفظ الصحة مع الآخرين، فلا ينبغي أن تتصرفوا بطريقة بعيدة عن اللباقة والشهامة وفاقدة لروح الصحة، ولا ينبغي أن تقابلوها بسلوكيات خالية من مودة الرفيق (اليزدي: ٢٠١٩، ٤٦٣).

كل هذه المنظومة الأخلاقية يعمل في داخلها الضمير بوظيفة ترابطية دلالية تمثل نصاً منسجماً:

إِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ	عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصَّلَةِ
إِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ	وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ
إِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ	وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبُذْلِ
إِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ	وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ
إِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ	وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ
إِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ	وَعِنْدَ حُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ
إِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ	حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ
إِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ	وَكَأَنَّهُ دُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ

يقوم اتساق النّص في عنصر الإحالة وغيرها بدور في تنظيم عالم الخطاب ، فما يدل عليه من انتظام وانسجام موجود داخل النّص هو بحد ذاته دليل على تماسك النّظام الوظيفي الداخلي في النّص الموجود، ويمثل الضمير اتحاداً و انسجاماً منضبطاً في عالم النّص (ينظر: بحيري، ٢٠٠٥، ٩٦) . من شأن المتكلم مراعاته الضمير ومرجعيتّه في الخطاب الموجّه للمتلقّي وهذه المراعاة تجعل المعنى في حالة استمرار واتساق وانسجام ؛ لأنّ ربط بعضها ببعض ، وجعله كتلة واحدة متفاعلة فيما بينها مترابطة ، ولا يخفى بأنّ هذه المراعاة هي كلّها من أجل الإفادة في الخطاب المرصود والمقصود للوظيفة معينة . (ينظر: حسان، ٢٠٠٧، ٢٦٦) .

إنّ الربط بالضمير هو من حسنات اللغة التي أوجدته للابتعاد عن اللبس والتكرار، ومن أجل الذكر المناسب الموجود في النّص (ينظر: حميدة: ١٩٩٧، ١٥٢) ولولا هذا الربط المهيم على النّص بنسبائية المعاني وتوجهها إلى محور واحد هو كلمة (أخيك) لما أمكننا الوصول إلى النّصية والمعنى المقصود ، فالوظيفة اللغوية التي يقوم بها الضمير باعدت من الملل لدى المتلقّي شفاهة أو لدى القارئ كتابة ، لذا " لا يمكن لأيّ نصّ أن يقوم مالم تكن ثمة علاقات بين أجزاء وهذه العلاقات تسهم في إنتاج نصّ منسجم في سياق ما " (الدنيناوي : ٢٠٢٣ - ١٠) .

الإحالة بالاسم الموصول الخاص (الذي):

(الذي) من المعارف يدل على العاقل المذكور يتوقّف فهمه على صلته، وهو فقير لها، وصلة الموصول تكون أما جملة أو ظرف لها رابط، والرابط بين الصلة والموصول هو العائد قال ابن يعيش: " ولا بدّ في كلّ جملة من هذه الجمل من عائد يعود منها إلى الموصول، وهو ضمير ذلك الموصول ليربط الجملة بالموصول، ويؤدّن بتعلّقها بالموصول، إذ كانت الجملة عبارة عن كلّ كلام تام قائم بنفسه " (ابن يعيش: ٢٠١٥، ٣ / ٢٧١) . و تُعدّ من الكنائيات يقول دي بوجراند: " المقصود بالكنائيات الضمائر والإشارات والموصولات " (دي بوجراند: ٢٠٠٧، ٣٢) . وتقسّم الكنائيات إلى ضمائر الاشخاص والإشارات والموصولات، تحمل معنى المتكلم مثل (أنا) والمخاطب (أنت) والإشارة (هذا) والغائب (الضمير) وما يحتوي من فروعه، والاسم الموصول يدل على الغيبة، وأقواها المتكلم وبعده الخاطب ثمّ الإشارة والغيبة (ينظر: حسان: ٢٠٠٩، ٧، ٨) . وللاسّم الموصول " خصوصية امتياز ربّما لا تتحدّد معاييرها الوظيفية ومعالمها الدلالية التداولية إلا في إطار جملة من القرائن التي تتظافر في شبكة السياق ... سبك النّص فإحكام صياغته تعمل متكافئة متفاعلة على نحو التوضيح وإزالة الغموض " (الهاشمي، ٢ / ٥٢٧، ٢٠١٨) .

عدّ بعض النّصيين الاسم الموصول من أنواع الإحالة؛ كونها لا تكون ذات دلالة مستقلة بنفسها وإنّما تتوقف دلالتها على صلتها، وأنها تتمتع بالمطابقة والتماثل لما تحيل إليه فهي شبيهة الضمير (ينظر: عفيفي: ٢٠٠١، ٣٢) .

ففي قوله (عليه السلام):

"وَأَعْلَمُ، أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (قَدْ أَدْرَنَ لَكَ فِي الدَّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ)، (وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ)، (وَتَسْتَرْحِمُهُ لِيَرْحَمَكَ)، (وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ)، (وَلَمْ يُلْجِئِكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ)، (وَلَمْ يَمْنَعَكَ مِنْ أَسَاتٍ مِنَ التَّوْبَةِ)، (وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ)، (وَلَمْ يُعَازِلْكَ بِالْإِنَابَةِ)، (وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفُضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى)، (وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ)، (وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ)، (وَلَمْ يُؤَيِّسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتِكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْتَنَّتْهُ ذَاتُ نَفْسِكَ، وَشَكَّوَتْ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفَتْهُ كُرُوبُكَ)، (وَاسْتَعْنَتْهُ عَلَى أُمُورِكَ)، (وَسَأَلَتْهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَفْدُرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ)" (ابن ابي الحديد: ٢٠٠٥، ١٦ / ٦٧) الأقواس التي في المتن بتصرفي.

الشَّعَارِ الذَّاتِي وَالْأَبْدِي الَّذِي يَصْرَحُ بِهِ تَعَالَى، وَهُوَ سَعَةٌ رَحْمَتُهُ تَعَالَى فَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ، فَالَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ الْقَوِيُّ وَالْقَوِيُّ مِنَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِجَانِبِهَا رَحْمَتُهُ وَعَطْفُهُ وَلِيْنُهُ عَلَى عِبَادِهِ الْمُحْسِنِ مِنْهُمْ وَالْمُسِيءِ، فِي هَذَا النَّصِّ "يُشِيرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى سَعَةِ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَطْلُوقَةِ وَشُرُوطِهَا كَيْ يَرْغَبَ الْإِنْسَانُ الْإِسْتِفَادَةَ مِنْهَا. وَيَنْبَغِي الْإِلْتِقَاءُ إِلَى أَنَّ نِعْمَةَ الْإِرْتِبَاطِ بِاللَّهِ تَعَالَى هِيَ أَعْظَمُ شَرَفٍ لِلْإِنْسَانِ يَقْدَرُ مِنْ خِلَالِهِ أَنْ يَعْضُرَ عَلَى رَبِّهِ جَمِيعَ حَوَائِجِهِ". (اليزدي: ٢٠١٩، ٢٤١).

فَصَلَةُ الْمَوْصُولِ (بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) هِيَ الْمَفْسَّرُ لِلْإِسْمِ الْمَوْصُولِ (الَّذِي)، فَالْمَرْصُودُ فِي تَعْرِيفِ الْإِسْمِ الْمَوْصُولِ عَلَى مَعْلُومٍ بِمَضْمُونِ صَلْتِهِ، وَقِيلَ إِنَّ الصَّلَةَ مَعْرِفَةٌ؛ لَوْجُودِ ضَمِيرِهَا، لِذَا اشْتَرَطُوا فِي تَكُونِ الصَّلَةِ أَنْ تَكُونَ جَمَلَةً، وَلَوْ نَظَرْنَا لِلصَّلَةِ وَمَا تَحْمَلُهُ مِنْ مُمَيَّزَاتٍ جُعِلَتْ كَأَنَّهَا مَعَ الْإِسْمِ الْمَوْصُولِ النَّوْءُ الْكَبِيرُ لِلنَّصِّ فَطَرَفَا الْمَوْصُولِ وَصَلْتَهُ وَالْعَائِدُ تَمْهِيداً لِرِبْطِ الْمَتَوَالِيَّاتِ مِنَ الْجُمْلَةِ الَّتِي تَأْتِي بَعْدَهَا لِتَكُونَ نَصّاً.

فَكُلُّ الْفَقْرَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي النَّصِّ هِيَ مَرْتَبِطَةٌ إِرْتِبَاطاً وَثِيقاً، بَلْ أَنَّهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَوْجَدَ لَوْلَا (مِنْ بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الَّذِي مِثْلُهُ الْإِسْمُ الْمَوْصُولُ الدَّالُّ عَلَى الذَّاتِ الْمَقْدَّسَةِ، الْأَذْنَ بِالِدَعَاءِ وَقَبُولِهِ وَسُؤَالِ وَالِاسْتِرْحَامِ وَرَفْعِ الْحِجَابِ وَلِجَأِكَ إِلَيْهِ لَا لِغَيْرِهِ، وَقَبُولِ السُّؤَالِ وَلَمْ يَمْنَعْ مِنَ التَّوْبَةِ وَلَمْ يَعْجَلِ النِّقْمَةَ، سَتَرَ عَلَيْكَ وَلَمْ يَعْزِكَ، وَسَهَّلَ عَلَيْكَ الْإِنَابَةَ وَتَجَاوَزَ عَمَّا فَعَلْتَ وَلَمْ يُؤْيِسْكَ وَعَوَّضَكَ تَعْوِيضَ الْكِرَامِ الْحَسَنَةِ بَعْشَرَةَ وَإِلْسَاءَ بَوَاحِدَةٍ... الْإِتْسَاقُ النَّصِّيُّ بِهَذِهِ الْفَقْرَاتِ كَلَّمَا مَرْتَبِطٌ بِمَحْوَرٍ وَاحِدٍ وَنَسَقٌ مُنْتَضِمٌ، فَالْخَطَابُ الْمَوْجِبُ وَالضَّمَانُ الْمَوْجُودَةُ هِيَ بَحْدِ ذَاتِهَا تَكُونُ الْإِتْسَاقُ النَّصِّيُّ، فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى النَّصِّ وَالدَّورِ الْوِظَافِيِّ الْمُهَيِّمِ عَلَى كُلِّ النَّصِّ الَّذِي قَامَ بِهِ الْإِسْمُ الْمَوْصُولُ (الْمَحِيلُ عَلَيْهِ) وَهُوَ الْعَطَاءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَالْعَمَلُ التَّفَاعُلِيُّ فِي السِّيَاقِ التَّخَاطَبِيِّ الَّذِي قَامَ بِهِ الْإِسْمُ الْمَوْصُولُ (الَّذِي) فِي الْإِحَالَةِ الْقَبْلِيَّةِ أَوْجَدَ نَصّاً مُتَسَقاً مُلْتَحِماً فِي مَرَادٍ وَالْمَقْصَدِ الْجَدِّيِّ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ). تَشَاهُدُ الْعِلَاقَةُ الْمَتَبَادِلَةُ بَيْنَ الْمُرْسَلِ وَالْمَتَلَفِّيِّ أُنْخَزِلَتْ وَبَيَّنَّ عَنْ طَرِيقِ الْإِحَالَةِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا (الَّذِي).

ثالثاً: الإحالة باسم الإشارة :

يُرَادُ بِهِ: "مَآوِضُ لِمَسْمَى وَإِشَارَةٌ عَلَيْهِ" (المرادي: ٢٠٠٦، ٢٢٤). هَذِهِ الْإِشَارَةُ هِيَ قَرِينَةٌ عَلَى حَسِيَّةٍ عَلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ غَالِباً فَهُوَ: "اسْمٌ يَعْينُ مَدْلُوقَةً تَعْيِيناً مَقْرُوناً بِإِشَارَةٍ حَسِيَّةٍ إِلَيْهِ" (حسن: ٢٠١٠، ١/٢٦٧) وَهَذِهِ الْإِشَارَةُ إِمَّا لِلْمَذْكَرِ أَوْ لِلْمُؤنَّثِ سِوَا أَنْ كَانَ مَفْرُوداً أَوْ مَثْنِيّاً أَوْ جَمْعاً. فَالْإِشَارَةُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى الْحَسِّ وَإِنَّمَا هِيَ تَشْمَلُ الْإِشَارَاتِ الْعَقْلِيَّةَ وَالذَّهْنِيَّةَ وَلَكِنْ الْغَالِبُ هُوَ الْحَسُّ، وَمَا أُشِيرُ إِلَى غَيْرِ الْحَسِّ إِنَّمَا يَنْزِلُ غَيْرَ الْمَحْسُوسِ مَنزِلَةَ الْمَحْسُوسِ (يَنْظُرُ: الرضوي: ٢٠٠٠، ٣/٢١٢).

وَهِيَ مِنَ الْمَبْنِيَّاتِ وَعَلَّةُ بِنَائِهَا شَبْهِيَّهَا لِلْحَرْفِ أَوْ الضَّمِيرِ، وَمِنْ صِفَاتِهَا الْإِبْهَامُ وَسُرُّ الْإِبْهَامِ؛ أَنَّهَا فِي حَالَةِ الْإِشَارَةِ تَشِيرُ إِلَى كُلِّ مَنْ كَانَ حَاضِراً، وَهَذَا الْحُضُورُ يَحْتَوِي عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تَوْدِي إِلَى اللَّبْسِ؛ وَلِذَلِكَ لَزِمَهَا الْبَيَانُ بِالطَّفِ (يَنْظُرُ: ابن يعيش: ٢٠١٥، ٣/٢٢٦). وَأَسْمَاءُ الْإِشَارَةِ: "خَمْسَةٌ: ذَا، لِلْمَذْكَرِ، وَلِمِثْلِهِ: ذَانِ وَذَيْنِ، وَلِلْمُؤنَّثِ: تَا، وَتِي، وَتَهْ، وَذَهْ، وَذِي، وَلِمِثْلِهِ: تَانِ وَتَيْنِ، وَلِجَمْعِهِمَا: أَوْلَاءُ، مَدَا وَقَصْرًا وَيَلْحَقُهَا حَرْفُ التَّنْبِيهِ، وَيَتَّصِلُ بِهَا كَافُ الْخَطَابِ... وَيُقَالُ: ذَا لِلْقَرِيبِ، وَذَلِكَ لِلْبَعِيدِ، وَذَلِكَ لِلْمَتَوَسُّطِ، وَتِلْكَ، وَذَانُكَ، وَتَانُكَ، وَمَشْدَدَتَيْنِ وَأَوْلَاكَ: مِثْلُ ذَلِكَ، وَأَمَّا ثُمَّ وَهَنَا، وَهَنًا، فَلِلْمَكَانِ خَاصَّةً" (الرضوي: ٢٠٠٠، ٣/٢١٩). وَمِمَّا لَا يَخْفَى فِي الْخَطَابِ الْحُضُورِيِّ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى مَرَاتِبِ ثَلَاثَةٍ: الْمَتَصَدِّرِ الْأَوَّلِ هُوَ الْمَتَكَلِّمُ ثُمَّ الْمَخَاطَبُ وَمِنْ ثُمَّ تَأْتِي الْإِشَارَةُ (يَنْظُرُ: حَسَانُ: ٢٠٠٩، ٢/١٨)

لَمْ يَغِبِ الرِّبْطُ الْإِحَالِيُّ عَنِ النَّصِّينِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ كَوْنَهُ مِنْ أَدْوَاتِ الْإِحَالَةِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾

الأعراف: ٢٦. قام اسم الإشارة بربط المبتدأ بالخبر، فالمسند إليه (لباس التقوى) صاحب التميز عن بقية الألبسة التي من شأنها تغطي الجسد، وأما المسند (ذلك خير) أي: خير من الألبسة التي تغطي الجسد، فالربط بين المسند والمسند إليه هو اسم الإشارة (ذلك) العنصر الإشاري، فضلاً على ذلك أن اسم الإشارة له القدرة على التلخيص واختزال الأحداث والاقوال، فهو عنصر تواصل وتعويض (ينظر: البهنساوي ٢٠٠٣، ٢١). ومثال ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام):

"وَأَعْلَمَ يَا بُنَيَّ، أَنْ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ، وَالْاِقْتِصَارَ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذَ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَظُرُوا لَأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ، وَفَكَرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاكَ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلُقِ الْخُصُومَاتِ" (ابن ابي الحديد: ٢٠٠٥، ٥٥/١٦).

يذكر (سلام الله عليه) في هذا النص من الوصية أموراً مهمة أعلاها الالتزام بتقوى الله تعالى، فهي قطب الرحي التي يدار حوله، والاختصار على الواجبات المكلف بها وهذا لا يدعو إلى ترك غير الواجب من المستحبات وغيرها، والأخذ بما كان يعمل عليه آباؤك والصالحون من أهل البيت (عليهم السلام) يعني النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام) (وعبد المطلب وحمزة وأبي طالب وجعفر (عليهم السلام)) ، وفكروا بما هو متعلق بمسائل الدين وتركوا ما لا يقبل التفكير وهو ذات الله تعالى (ينظر: الشيرازي ٢٠١٠، ٩/٤٦٦ هـ).

فالإحالة باسم الإشارة في قوله (عليه السلام): (ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ) هي إحالة قبلية تشير إلى ما تقدم في النص من مفاهيم وهذه حالة الربط بين العنصر الإشاري والمحيل إليه يقوم على بناء نص منسجم بعيداً عن التكرار، إذ قام اسم الإشارة باختزال المتتاليات من الجمل بعنصر واحد دالٌّ وأنَّ المبدأ العام الثاوي خلف الإشارة وهو جعل الخطاب متماسكا من خلال استحضار عنصر متقدم أو خطاب بأكمله " (الخطابي : ٢٠٠٦، ١٧٧).

ولو عدنا إلى النص نجد فيه أكثر من عنصر إشاري :

(إلى الأخذ بما عرفوا، والإمساك عما لم يكلفوا، فإن أبث نفسك..... أن تقبل ذلك) فعنصر الإحالة كخيل بهذا الاتساق والعمل الوظيفي الذي قام به أن رفض النفس للأخذ والإمساك هو في حد ذاته مرتبط بما قبل اسم الإشارة الأول ، فيتضح البناء الذي يقوم به اسم الإشارة في النص بأكمله كأنه خطاب وبناء بين أسماء الإشارة، فهي اختزلت وعوضت وجعلت حالة من التواصل الداخلي في النص ويظهر نصية النص ، فالربط أصبح ما قبل اسم الإشارة وما بعده فهو قطعة واحدة متصلة في المعنى المراد.

ثم يقول: (عليه السلام): "فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلُقِ الْخُصُومَاتِ" هنا الإحالة بعدية تشير إلى ما

بعدها وتصل بينهم .

ومنه قوله (عليه السلام) : "إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا - نَبَا بِهِمْ مَثَلُ جَدِيبٍ - فَأَمُّوا مَثَلًا خَصِيْبًا وَجَنَابًا مَرِيْعًا - فَأَخْتَمَلُوا وَعَثَاءَ الطَّرِيقِ وَفِرَاقَ الصِّدِيقِ - وَخُشُوْنَةَ السَّفَرِ وَجُشُوْبَةَ المَطْعَمِ - لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ - فَلَيْسَ يَجِدُونَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْمًا - وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَمًا - وَلَا شَيْءَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ - وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ ... " (ابن ابي الحديد ، ٢٠٠٥ ، ١٦ ، ٦٤).

في بيان رائع منه (عليه السلام) يصف به من خبر الدنيا وكان بصيراً بها، وهذه الخبرة بحالها لا تأتي بسهولة إنما من

طول الجهاد ومقاومة النفس والتخلي عن ملذاتها، فكلّ ما تقدّم من معاناة ظاهرية لمن يسمع أو يرى حالهم لكن المدهش أنّهم لا يرون ألماً، فاسم الإشارة (ذلك) رابطة ومحيلة إلى كلّ ما تقدّم من مفاهيم وصور كاشفة عن حالهم مع ما بعده وهو نفي الألم لهذه الأحوال التي عاشوها ومارسوها، استطاع بكلّ سهولة أن يستبدل الإمام هذه المفاهيم التي تقدّمت بـ (اسم الإشارة) .

والجدير بالذكر أنّ اسم الإشارة يكون " بصورة أكثر شيوعاً في ضمائر الإشارة الأخرى الداخلة عليها (الكاف واللام) ولا يقاربه في الشيعي سوى (نلكم) و(تلك) وبناء على ذلك تكون الضمائر (هذا وتلك وتلكم وتلك) هي الضمائر التي تحظى بنسبة ورود عالية مقارنة بالمضمرات الإشارة الأخرى " (بحيري، ٢٠٠٥، ١٥٣) .

الخاتمة :

- ١- النص من بدايته إلى نهايته ظاهرة الاتساق فيه واضحة بشكلٍ جيّدٍ ، مترابطة منسجمة .
- ٢- إنّ هذا النص لا يمكن إحاطته بهذه الوريقات القليلة، إنّما يصلح أن يكون رسالة ماجستير، لما فيه من معايير نصية يمكن الكشف عنها وتوظيفها في استظهار المعاني المرصودة في هذا النص المبارك.
- ٣- التشكيل الخطابي من المتكلم إلى المتلقي حقّق أعلى وأفضل حالات الذوابان المشكّل للنص؛ لجلالة المتكلم وعظمة المتلقي ممّا أنتج حالة من الانصهار والذوابان بين المعايير النصية، وقلّما تجده هكذا حالة من البناء اللغوي ما خلا القرآن الكريم.
- ٤- عنصر الإحالة من أبرز العناصر في الاتساق النحوي النصي الموجود في الخطبة المباركة الذي تمّ تناول بعضه .
- ٥- الضمير من أبرز عناصر الإحالة الموجود في الوصية وأكثرها استعمالاً.

المصادر والمراجع

- الإبراهيمي، خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات : دار القصة - الجزائر ، ط ٢ (د ت) .
- ابن أبي الحديد ، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله مدائني ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، العراق - بغداد ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ .
- ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار المكتبة التوفيقية، مصر، الطبعة الاولى، ٢٠١٥ .
- ابن فارس: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ) مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د ط).
- الاسترابادي ، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي (٦٨٦هـ) ، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، شرح وتحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب . القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ابن منظور ، : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري الافريقي (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، تحقيق: ياسر سلمان أبو شادي ومجدي فحي السيد، دار التوقيفية للتراث للطباعة والنشر، القاهرة . مصر (د ت).
- ابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (٦٤٦هـ) ، شرح المفصل لابن يعيش : تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، دمشق . سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الأشبيلي (ت ٦٦٩هـ) تحقيق وتعليق ودراسة : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد عوض ،دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م
- بحيرى ، حسن يحيرى، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- بحيرى، حسن يحيرى، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، مؤسسة المختار - القاهرة، ط ٢ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- بوقرة، نعمان بوقرة ، لسانيات الخطاب مباحث في تأسيس الإجراء ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ - ٢٠١٢ هـ .
- البهنساوي، حسام البهنساوي ، أنظمة الربط العربية دراسة في التراكم السطحية بين النحاة والنظرية التوليد التحولية.
- الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) دلائل الإعجاز : ، قرأ وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني . القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- حسان، تمام حسان اجتهادات لغوية : عالم الكتب - القاهرة. ط ١ ، ٢٠٠٧ .
- حسان، تمام حسان ، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب - القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
- حسان، تمام حسان، الخلاصة النحوية : عالم الكتب - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- حسن : عباس حسن، النحو الوافي: الأميرة، بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .
- حميدة ، مصطفى حميدة ، نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية: الشركة المصرية العالمية للنشر . لونجمان، طبع في دار نوبار . القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
- خطابي ، محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ، ط ٢ ، ٢٠٠٦ .
- الدنيناوي ، حيدر جاسم جابر الدنيناوي، العلاقات الدلالية في خطاب النفس في القرآن الكريم دراسة في نحو النص ، مجلة واسط

للعلوم الإنسانية، ٢٠٢٣ .

- دي بوجراند ، روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء : ترجمة : تمام حسان ، عالم الكتب - القاهرة ، ط٢ - ٢٠٠٧ .
- الراغب ، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الزاغبي الأصفهاني (٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن: ، دار القلم - دمشق، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ.
- الزناد ، الأزهر الزناد ، نسيج النص : المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ، ط١ - ١٩٩٣ .
- السيرافي ، الحسن بن عبد الله الرزباني السيرافي (ت ٣٦٨هـ): تحقيق : أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي ، دار الكتب العلمية ، لبنان - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ م .
- الشاوش ، محمد الشاوي ، أصول تحليل الخطاب في النظرية العربية تأسيس "نحو النص": جامعة منوبة ، كلية الآداب - تونس ، ط١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م .
- شبل، عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب - القاهرة ، ط١ - ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م .
- الصبيحي ، محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : الدرر العربية للعلوم ناشرون، (د ط).
- فرج، حسام أحمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري : مكتبة الآداب - القاهرة ط٢ - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م .
- الفقي ، صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكيّة : دار قباء - القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ٢٠٠٠ م .
- قياس ، ليندة قياس . لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني إنموذجا : مكتبة الآداب - القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م .
- عفيفي ، أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : مكتبة الزهراء الشرق - القاهرة ، ط١ - ٢٠٠١ .
- المرادي، الحسين بن قاسم المرادي(ت ٧٤٩هـ) ، شرح التسهيل ، مكتبة الإيمان - القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م .
- المتوكل ، أحمد المتوكل ، قضايا في اللغة العربية واللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، دار الأمان - الرباط ، ٢٠٠١ .
- مصلوح: سعد مصلوح ، في البلاغة العربية والاسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي ، ٢٠٠٣م الكويت، ط١ .
- الهاشمي، د. عماد جبار كاظم، نحو النصية في دعاء السمات قراءة تحليلية في ضوء خصائص نحو التكوين النصي ، ، مجلة كلية التربية / جامعة واسط / العدد الحادي والاربعون ٢٠٢٠ م .
- الهاشمي، د. عماد جبار كاظم، قرائن التعليق في نهج البلاغة دراسة في المعنى النحوي الدلالي ، العتبة الحسينية المقدسة - كربلاء- العراق ، ط١ ، ٢٠١٨م .
- اليزدي ، محمد تقي مصباح اليزدي ، الموعظة الخالدة دروس في شرح وصية الإمام علي (عليه السلام) لابنه الحسن المجتبي (عليه السلام) : دار المعاف الحكمية ، لبنان - بيروت ، ط٢ . ١٤٤١هـ - ٢٠١٩ م .
- يقطين ، سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي: المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - المغرب ، ط٢ - ٢٠٠١ م .